مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

القول اللين وخلافه
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
المفهوم والتطبيقات دراسة بلاغية تحليلية

د. محمد بن عبد الرحمن الخراز
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد
بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية
جامعة القصيم

أبحاث

القول اللين وخلافه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المفهوم والتطبيقات دراسة بلاغية تحليلية

د- محمد بن عبد الرحمن الخراز
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد
بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية
جامعة القصيم

مقدمة

هذا الدين الإسلامي يتميز بأنه قريب من الناس، يعايش احتياجاتهم اليومية، وينظر في صلاح أمورهم الصغيرة قبل الكبيرة.. ولذا فهو دين أمة كاملة، لا أفرادا أو جماعات فحسب.

ومن سمات الأممية في هذا الدين أنه يُحَمِّل كل فرد من أفراده مهمة خاصة به، وعلى قدر استطاعته، ليكون عضوا فعالا فيه.. ولقد كان من أوثق عرى المشاركة بين أفراد هذا الدين وجماعاته التآمر فيما بينهم بالمعروف، والتناهي عن المنكر..كما قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران١١٠] ، وقال الرسول ﷺ في خطاب عام لكل فرد ينتمي إليه : (بلغوا عني ولو آية)رواه البخاري.

ومن هنا كان حتما على أولئك الأفراد وتلك الجماعات التفقه فيما يُعين كُلاً منهم على تحقيق البلاغ الذي يستطيعه على أكمل وجه يقتدر عليه..

ومن أهم مقومات ذلك التفقه المعرفة بالأساليب المختارة للتواصل مع الآخرين على أكمل وجه ممكن لهم، وهي المعرفة التي يتيح (علم البلاغة) جانبا كبيرا منها، ولكن ذلك لا يتحقق إلا بإعادة صياغة كثير من قواعد هذا العلم، أو دراستها، أو شرحها وتقريبها، وربطها بتطبيقاتها العملية.

ومن منطلق هذه الحاجة الماسة إلى تنزيل علم البلاغة على أرض الواقع والممارسة العملية جاء هذا البحث.

كما أن الحاجة ملحة إلى مثل هذا التنزيل والتقريب من ناحية أن هدف علم البلاغة الأهم - بعد هدف الكشف لوجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم- هو تعريف الناس بوسائل الاتصال الناجع فيما بينهم.. وتقريب هذه المعرفة لتكون في متناول أكبر شريحة ممكنة من أفراد المجتمع.

وقد كانت البلاغة معنية بهذا الهدف في أول أمرها، ثم لم تزل تتباعد عنه، وتغرق في بحور من الجدل المنطقي على يد كثير من متأخري علمائها، حتى صارت بمرور الوقت علماً نُخبويا، خاصا بأهله.

ومن ناحية أخرى فمثل هذا البحث مهم لأنه حاول أن يجسد شكلاً من أشكال التكامل (البلاغي) مع العلوم الأخرى التي نحتاج إليها للتواصل الفعال مع محيطنا، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وسيلاحظ القارئ الكريم أن في البحث نوعَ استرسال مع المواقف الاجتماعية والشخصية بقصد استكشاف بعض أعماقها الدلالية والتعرف إلى العوامل المتحكمة في اختيار ألفاظها وبنيتها على النحو الذي ترك هذا الأثر العظيم لها وللمنسوبة إليهم..

وأخيرا؛ ففي هذا البحث التفات أساسي إلى الاستشهاد والتمثيل بمواقف مختارة لعلماء ودعاة معاصرين، ومنهم علماؤنا الأجلاء ابن سعدي، وابن باز، وابن عثيمين.. وذلك يحمل رسالة مفادها بأن القدوة الرائعة في (التطبيقات البلاغية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لم تكن -أبدا- مقصورة على أقوال المتقدمين ومواقفهم العظيمة..

وأما منهج هذا البحث فيقوم على التحليل والتقييم، أي تحليل عدد منتقى من التجارب الناجحة ومقابلتها بتجارب أخرى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليُعلم ما بينهما من الفرق في الأثر والتأثير، وليُستخلص من ذلك ما كان سببا في نجاح بعض ، وإخفاق بعض آخر.

وقد اقتصر هذا البحث على جانب واحد من جوانب عملية التواصل، لكنه جانب أساسي، وركن ركين، وهو (مسألة اللين في الخطاب، وضدها)، وقد أخذت فكرة عنوانه من قوله تعالى لموسى وهارون على نبينا وعليهما وعلى سائر أنبياء الله أتم الصلاة والتسليم: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه٤٤]، وقوله ﷺ لنبيه ﷺ : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل١٢٥]، لقد أراد البحث أن يكتشف بعضا من أهم معالم اللين والحكمة في الخطاب، وبعضا من أهم معالم القسوة والشدة، ليتبين الأمر مزيد تبيُّن.

والله الموفق

المبحث الأول

صفات القول اللين البليغ في الخطاب ومقاماته

أولا: تليين أسلوب الخطاب باستعمال الكناية:

الكناية في الأصل تكون باللفظ والكلام، كقول الشخص لآخر دعاه إلى وليمة فيها منكر: "إن أحبَّ المجالس إليَّ ما عُمِرَ بذكر الله"، فهذه كناية عن عدم إجابته لدعوة صاحب الوليمة، وتعريض له بأن ينقّي مجلسه من المنكرات.

ومن الكناية أنواع أخرى غير مشهورة، لأنها غير لفظية، كالكناية بـ(الهمهمة) الدالة على معنى يفهمه السامع، وهو إما أن يكون معنى الرضا والموافقة أو معنى الرفض والكراهية.. كهمهمة الفارسي إذا كان على الطعام[1]. ولعلها تعبير عن الإعجاب والشكر للمولِم.

ومنها الكناية العملية، وستأتي بعد الكناية القولية.

القسم الأول: الكناية القولية:

الكناية عبارة عن: ذكر اللازم وإرادة الملزوم..

أو هي: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه الأصلي، كقولك: فلان طويل النجاد[2]، كناية عن طول قامته.

ففي الكناية يتكفل المتكلم بتقديم وجه واحد من وجهي المعنى للمخاطب، وهو الوجه السطحي المباشر، وبناء عليه يتمكن المخاطب من إدراك الوجه الآخر، وهو الوجه الخفي العميق.. وهذا من أبلغ طرق الإقناع والتأثير، لأن المخاطب يكون شريكا في إدراك الحقيقة، واكتشاف المعنى المراد.

مقامات الكناية:

ولذا فإن الكناية أفصح -في مقاماتها- من التصريح.. لما فيها من المناورة في التوصل للمقاصد من طريق غير مألوف..

قال الجاحظ: «قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصرُ بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة».

ثم قال: «ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها [يعني بالحجة] إلى الكناية عنها؛ إذ كان الإفصاح أوعر طريقة»[3]

و الكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح «أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة». كما قال ابن سنان الخفاجي، وأضاف: «وإنما قلنا: "في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح" لأن مواضع الهزل والمجون وإيراد النوادر يليق بها ذلك [يعني التصريح] ولا تكون الكناية فيها مَرْضِيَّة فإن لكل مقام مقالا ولكل غرض فنا وأسلوبا».[4]

فالقول الصريح والكلام المباشر قد يثيران رد فعل سلبي لدى المخاطب.

كما أنه قد يكون المخاطب ذكيا فتكفيه الإشارة والكناية، فلو صرح له لكان بمثابة القدح في ذكائه.

وقد يكون المخاطب ذا قدر ومكانة فلا تليق مواجهته ببعض المعاني، فيستعاض بالكناية عن الصراحة..

وقد تتعين النصيحة في مكان عام فيه فلتحاشي إيقاع المخاطب في الحرج يعمد المتكلم إلى الكناية وتكفيه.

ولكن الكناية قد لا تؤدي القدر المطلوب من التغيير، أو قد تفهم على غير وجهها، فيتعين التصريح حينئذ .. كما روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه رأى على رجل ثوبا مُعصفرا، أي مصبوغا بالعِصفر، فعدَّ ذلك إسرافا منه على نفسه، فاختار الكناية سبيلا إلى نصحه، قائلا له: «لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قِدرهم كان خيرا» إلا أن الرجل لم يفهم المعنى المراد، ولم يدر أن ذلك كناية فذهب الرجل فأحرق ثوبه في تنور بيته!

وعبد الله بن سلام إنما أراد لو أنك لو صرفت ثمنه في دقيق تخبزه، أو حطب تطبخ به[5].

وقد كانت كناية ابن سلام في نهي الرجل عن الإسراف أنفع له من التصريح، لو أنه فهمها، لأن فيها توجيها له ليضع المال فيما هو أنفع من الزينة والبهرجة.

ويستفاد من هذه الحادثة أنه ليس كل مقام تحسن فيه الكناية، ففي مثل هذه الحال لا مناص من التصريح بالمعنى المراد تصريحا واضحا.

أمثلة على الفوائد الدلالية للكناية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

مما يزيد من حسن الكناية، أنها تقوم مقام الدليل والبرهان على القول..

ومن أمثلة هذه الفائدة أن الله ﷻ لما أراد أن يأمر نبيه ﷺ بأن لا يتقبل من المشركين أي شيء يصده عن آيات الله، لم يقل ذلك له صراحة، بل كنى عنه بقوله جل وعلا: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾[القصص٨٧]

فنهاه عن أن يصده شيء أصلا عن آيات الله، فهذه -كما يقول ابن عاشور-كناية عن نهيه عن أن يتقبل منهم ما فيه صدّ عن آيات الله تعالى، كما تقول العرب : "لا أعرفنك تفعل كذا" ، كنوا به عن أنه لا يفعله [...]والمقصود : تحذير المسلمين من الركون إلى الكافرين في شيء من شؤون الإسلام؛ فإن المشركين يحاولون صرف المسلمين عن سماع القرآن»[٦].

ومن الكناية تذييل بعض آيات القرآن بصفات مناسبة لسياقها من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، مثل:﴿إن الله عليم خبير﴾ في ختام قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان٣٤] ، فمثل هذا يكون «كناية عن الأمر بتزكية نوايا المخاطبين في معاملاتهم [لأن] الله يعلم ما في نفوسهم ويحاسبهم عليه)[٧].

فهذا مثال للنصح غير المباشر، وهو نصح تضمن تعليلا لأهمية ما نصحهم به، أي أنه نصحهم بمراقبة خطرات النفس، بسبب أن الله عليم خبير بما فيها.

وكقوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[النجم٦٢]فهذا كناية -في بعض أقوال المفسرين- عن الأمر للمشركين بالإسلام، بشرط أن يقرنوا إسلامهم بالبرهان الدال على صدقهم فيه، والبرهان هو السجود لله وعبادته وحده، فالسجود عبارة عن الصلاة، والصلاة هي عنوان الإسلام، ورأس عباداته.[٨]

وكما تقع الكناية عن أمر مستحسن، يندب المرء إلى فعله، ويثاب عليه، ويمدح به؛ فقد تقع أيضا عن أمر مستقبح، يذم المتصف به، ويعاقب فاعله... ومن علماء البيان من سمى الأول من الكنايتين(إشارة)، وخص الثاني باسم (الكناية)[٩].

وهذا تفريق جيد، ومسلك دقيق، في رعاية المناسبة بين المعنى اللغوي للكلمة وبين استعماله الاصطلاحي..لأن الشيء القبيح هو الأولى بأن يستر ويخفى أي يكنى عنه، والشيء الحسن لا يستر، ولكن تصح الإشارة إليه إشارة خفية.. إلا هذا التفريق لم يكتب له الشيوع بين البلاغيين.

وعلى كل حال فهذا اصطلاح، والشأن هو في المقاصد والنتائج، ذلك أيا من الكناية أو الإشارة يعد من أهم أساليب القول اللين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأنه الأسلوب الذي يمد للمتكلم يد العون في مقامات لا يحسن فيها التصريح والمواجهة.

ولهذه الأهمية وصفت الكناية بأنها أسلوب ترقيق[١٠]، لما فيها من تلطيف وتزيين بالغين إلى الحد الأقصى، فإنك إذا كنيت عن شيء كان ألطف من التصريح.

وقد بلغ من عظمة الترقيق والتلطيف في الكناية أن قيل بأنها هي المراد في قوله تعالى : ﴿فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه٤٤]قالوا: هو الكناية[١١]

ومن إنكار المنكر بأسلوب الكناية الرد بها على اليهود والنصارى فيما زعموه من الباطل في شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، في قوله تعالى : ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة٧٥]، قال المفسرون : «هذا تنبيه على عاقبته، وعلى ما يصير إليه؛ وهو الحدث ، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يُحدث ، ثم قال : ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وهذا من ألطف الكناية»[١٢]. فقد سمى الله الكناية بيانا، ونوه به بالدعوة إلى تأمل أسراره، بقوله ﷻ ﴿انظر﴾ فهو نوع من البيان الراقي العظيم.

كما أنه بيان لطيف في تقديمه، عندما يعبر به عما يترتب على أكل الطعام من الحاجة للخلاء، وأن هذا لا يليق بإله، فإذاً لا يكون عيسى بن مريم إلها أبدا.

ومن الكناية في النهي عن الغيبة، وتقبيح حال المغتاب، قوله ﷺ: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً ﴾ [الحجرات١٢]«فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله مَيْتاً»...[١٣]

القسم الثاني: الكناية العملية:

وهي عبارة عن القيام بفعل يترتب عليه -أو يلزم منه- فهمُ معنى محدد مقصود، فهو كالكناية القولية في الاستدلال على اللازم بعد معرفة الملزوم.

ولم يتحدث عنها البلاغيون، لأن جل همهم كان مصروفا إلى (دلالات الكلام) فحسب، دون ما سواه من طرق الدلالة غير الكلامية، كالدلالة بالإشارة، والرسم، والهيئة، أي الشكل والفعل..، مع أن الجاحظ نوه بهذه الطرق، ووضعها في صف المساواة مع الدلالة اللفظية، حيث قال: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء؛ لا تنقص ولا تزيد؛ أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال وتسمى نصبة»[١٤].

والكناية الفعلية داخلة في دلالة النصبة، لأن النصبة -كما قال الجاحظ- هي«الحال الدالة»

بل إن الجاحظ ذهب إلى ترجيح قوة الدلالة بالنصبة على قوة الدلالة بغيرها، لأنها -أي النصبة والهيئة والفعل- «تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصُر عن تلك الدلالات»[١٥].

ومن أمثلة الكناية العملية -أو الفعلية- في النصيحة والإرشاد ما حكاه أبو بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله ، يعني الإمام أحمد بن حنبل، رحمهما الله، عن الرجل يُدعى فيَرى فرُش ديباج [أي حرير]؛ ترى أن يَقعد عليه، أو يَقعد في بيت آخر؟ قال: يَخْرُجُ؛ قد خرجَ أبو أيوب وحُذيفة، وقد روي عن ابن مسعود.[16]

فجعل الخروج من هذا المجلس المفروش بالحرير كافيا في الإنكار على أهله، لأن له دلالة لا تخفى عليهم، فهو كناية عن كراهية المعصية، ومحبة تخليص مجلسهم منها، لكنها كناية صامتة ساكنة، وهي مع ذلك بليغة مؤثرة.

ومنها أن الحسن البصري -رحمه الله- حضر إلى عُرس دُعي إليه ، فجيء على المائدة بجام من فضة، عليه خَبيصٌ أو طعام ، فتناوله ، فقلبَهُ على رغيفٍ فأصاب منه ، فقال رجل من الحضور: هذا نهيٌ في سكون.[17]

و«النهي في سكون» هو تعبير آخر رائع عن الكناية العملية، وهي التي تحققت بالامتناع هنا عن الأكل في آنية الفضة، وتفريغها مما فيها من الطعام للاستفادة منه.

ومما دل على مشروعية الكناية بالفعل في إنكار المنكر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام٦٨]

حيث جاء في تفسير النحاس قوله: «أدب الله جل وعز نبيهﷺ؛ لأنه كان يقعد إلى قوم من المشركين يَعِظُهُم ويدعوهم؛ فيستهزئون بالقرآن؛ فأمره الله عز وجل أن يُعرضَ عنهم إعراض منكر ولا يُقبل عليهم».[18] فالإعراض كناية عن الإنكار على المشركين المستهزئين بالقرآن.

وفي أحكام القرآن للجصاص -عن هذه الآية أيضا- أن تأديب اللهﷻ لنبيهﷺ بهذا الأدب في الإنكار دليل «على أن علينا تَرْك مُجالسة الملحدين وسائر الكفار عند إظهارهم الكفر والشرك وما لا يجوز على الله تعالى؛ إذا لم يمكننا إنكاره»[19].

وقد يتهيأ للناصح تأكيد الإنكار للمنكَر بالجمع بين عدد من طرق الإنكار وأساليبه، كالجمع بين «كناية المفارقة لمكان المنكر»، وبين فعل آخر، كالتغيير باليد، أو بينها وبين القول والكلام ببيان الأدلة على التحريم والتحذير من المعصية.. وهذه صورة عليا من صور التغيير الأكثر تأثيرا.. كما في قصة سلمان الفارسي -رضي الله عنه- لما بَنى بامرأةٍ له، فلما أصبح غدا عليه أصحابُه فقالوا له:كيف وجدت أهلك؟ -يسألونه عن سر خاصٍ- فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم! ثم قال: إنما جَعَل الله تعالى السُّتورَ والخدور والأبواب

لتوارِي ما فيها. حسْبُ امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألنّ عن ذلك؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المتحدث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق).[٢٠]

فإن إعراض سلمان الفارسي-رضي الله عنه- عن إجابة سؤال أصحابه ثلاث مرات هو إنكار عليهم، وهو (كناية فعلية لطيفة) عن كراهيته لما تجرؤوا عليه من هذه المسألة، لكنهم لما لم يرعووا عن جهلهم، التفت إليهم منكرا بالقول، ومستشهدا بالحديث الشريف، ليردعهم الردع الشديد عن العودة إلى مثل ذلك.

وقد حكى الدكتور محمد بن سعد الشويعر قصة عن الشيخ ابن باز -رحمه الله- تمثل تطبيقا لهذه الكناية العملية اللطيفة في إنكار المنكر؛ وذلك أن الشيخ أراد أن يبين لشخص كثير الجدل بأنه جاهل فيما يجادل فيه، وأنه أخطأ فيما ذهب إليه في جدله؛ ولكن الشيخ اتخذ سبيل الفعل الصامت ليوصل إليه هذا المعنى..

فقد كان الشيخ يقرر في أحد مجالس العلمية "صفة علو الله تعالى واستوائه على عرشه"، فعارضه شخص من الحضور، متهما للشيخ بالتعصب للوهابية ومحاولة التبرير لأخطائها.. واحتد في المعارضة والاتهام، فما كان من الشيخ إلا أن طلب من الدكتور الشويعر -راوي القصة- أن يُسجل اسمي كتابين من كتب المالكية يُقرِّران عقيدة السلف في صفة العلو والاستواء -وكان المجادل مالكي المذهب- وقال الشيخ: إن الكتاب هذا من تأليف علماء المالكية.. وقال: إن وجد في كلامهم ما يخالف كلامنا وكلام الإمام مالك، فإننا نرحب بذلك.

والنتيجة أن الشيخ قام بإقناع المخالف دون إثارة، وبطريقة عرفها ذلك الرجل[٢١].

كما استعمل الشيخ الكناية العملية في الأمر بالمعروف وتعليم الدين، فقد علم ابنة له صغيرة السن طريقة الوضوء بتوجيهها لقراءتها من كتاب كان بين يديها، قالت: وعندما قرأت الكتاب اتضح لي خطئي في ترتيب الوضوء.

ولعل الشيخ سلك هذا الطريق غير المباشر في التعليم؛ لأن تلك الطفلة كانت في خلاف -كما تشير القصة- مع أحد إخوتها حول صفة الوضوء، فأراد الشيخ أن يلقنهما بطريق (الكناية العملية) درسا (لينا لطيفا) في أداة هامة من وسائل قطع الجدال، وهي الرجوع إلى النصوص الشرعية لمعرفة الحق، أو إلى العلماء بالشريعة أو إلى كتبهم.[٢٢]

ثانيا: تليين الخطاب باستعمال أسلوب التعريض

المقصود بالتعريض: تضمين الكلام دلالة ليس لها ذِكرٌ صريح في الكلام، كقولك : ما أقبح البخل ، لمن تُعرِّض ببخله، وتحب أن تنهاه عنه[٢٣].

ففي (التعريض) وسيلة هامة للتنبيه بفعل أو لفظ عن معنى اقتضت الحال العدول عن التصريح به[٢٤].

ومنه قول القائل على مسمع ممن يؤذي المسلمين: قال رسول الله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه الأمام أحمد وغيره.

فإن السامع لهذا الحديث في هذا المقام بالذات سيفهم أنك تعرض بالشخص المؤذي، وتلمح له بأنه عليه الكف عن الأذى لينضم إلى زمرة المسلمين. د

مهارات ضرورية لنجاح أسلوب التعريض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

التعريض أسلوب ذكي، لا يتقنه إلا موهوب متمرس، ويتضح هذا الوصف بمراجعة القصص والمواقف التي استعمل فيها، كما أنه لا يتم الانتفاع به إلا مع مستمع فاهم، وذي حس مرهف ليدرك مرامي الكلام، ومغازي العبارات.

أي أن تمام الانتفاع بالتعريض يعود إلى عوامل مساندة؛ منها قدرة المستمع الذهنية وفطنته وذكائه، ومنها حسن اختيار المتكلم للظرف والمقام والكلام الذي يولد الدلالة التعريضية..

ومن المواقف التي تصور أهمية توفر هذه الشروط في الطرفين لينتفعا بالتعريض، ما رواه أبو بكر ابن الخلال في كتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) عن محمد بن أبي هارون ، قال: سمعت أبا العباس ، قال : صلى بأبي عبد الله [أحمد بن حنبل] يوما "جوين" ، فكان [جوين] إذا سجد جمع ثوبه بيده اليسرى ، وكنت بجنبه ، فلما صلينا قال لي أبو عبد الله-وخفض من صوته- : قال النبي ﷺ : «إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يكف شعرا ولا ثوبا»، فلما قمنا قال لي جوين : أي شيء كان يقول لك ؟ قلت : قال لي : كذا وكذا، وما أحسبُ المعنى إلا لك».[٢٥]

أثر التعريض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذا الأسلوب صورة بهية للطف في النصيحة، ولأجل هذا فإن (التعريض) من (أخلاق الأنبياء)، كما قال الزمخشري[٢٦].

ومن أمثلة اللطف النبوي الكريم في التعريض لبعض الصحابة بما عليهم من الفروض والمستحبات قولهﷺ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل). وقد أدرك ابن عمر مضمون هذه التعريض اللطيف، وامتثل المقصود منه، فكان بعد ذلك يصلي من الليل فيكثر، ولا ينام إلا أقل الليل. الحديث رواه الإمام أحمد وغيره.

وكان رسول اللهﷺ يكثر من استعمال التعريض، في مناسبات تقتضيه، من مثل قولهﷺ: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا!)[٢٧]، أي حين يرتكب فرد، أو جماعة من أصحابهﷺ خطأ، فلا يحب أن يواجه أيا منهم بالإنكار المباشر الصريح، حفظا لماء الحياء في وجوههم، ورعاية لطيب خواطرهم، أو لغرض تعميم النصيحة لئلا يقع غيرهم في مثل ما وقعوا فيه.

وقد كان من صفته ﷺ أنه (لا يواجه أحدا في وجهه) ذكر ذلك المناوي في التيسير، وفسره بأنهﷺ كان لا يشافه أحدا (بشيء يكرهه) لئلا يشوش عليه فانهﷺ كان واسع الصدر غزير الحياء فكان يقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا).. وهذا أبلغ وأعم نفعا لحصول الفائدة فيه لكل سامع، مع ما فيه من حُسن المدارة والسَّتر على الفاعل وتأليفِ القلوب.[٢٨]

قال المروزي قلت لأبي عبد الله، يعني الإمام أحمد بن حنبل: تَرَى للرجل إذا جاء الرجلُ يَسألُ -يعني يطلب الصدقة لنفسه- أن يَسأل له قوما؟. قال: لا؛ ولكن يُعرِّض كما فعل النبيﷺ حين قدِم عليه القومُ مجتابي النِّمار؛ فقالﷺ: (تصدَّق رجلٌ بكذا، تصدَّق رجلٌ بكذا).[٢٩]

ومن فوائد التعريض أنه يساعد في حصول السلامة من أذى قد يلحق الناصح؛ وذلك فيما لو كان المخاطب الواقع في المنكر قاسيا فضا غليظ القلب، لأنه بالتعريض لن يترك له الناصح مستمسكا يدينه به، لكونه يحوم حول المقاصد بكلام عام شامل ، يصلح -في الأصل- لأن يخاطب به كل شخص.

وهذه الفائدة التعريضية تحققت في قوله الرسولﷺ لقومه في دعوتهم، فيما حكاه الله عنه: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ* إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس٢٣-٢٤] إذ المراد -في الأصل-: "أتتخذون من دونه آلهة إن يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا ولا ينقذونكم"..."إنكم إذا لفي ضلال مبين"؛ ووجه حسن التعريض هنا «تطلّبُ إسماع المخاطبينَ -الذين هم أعداء المسمع[يعني أعداء الرسول]- الحقَّ على وجه لا يورثهم مزيدَ غضب؛ وهو تَرْكُ التصريح بنسبتهم إلى الباطل ومواجهتهم بذلك، ويُعِين على قبوله؛ لكونه أدخل في إمحاض النصح لهم حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه»[٣٠].

ومن ذلك قول الرسول لقومه: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس٢٢]المراد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، فهو التفات وتعريض معا، التفات بالنسبة لما قبله، وتعريض بالنسبة إلى ذات الجملة والكلام.

نماذج من تطبيقات التعريض في النصح:

من تطبيقات هذا الأسلوب فيما بين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هذا الموقف الذي نقله ابن أبي الحديد، قال:

«خرج العطاء [يعني أعطيات الناس التي يمنحها لهم الخليفة] في أيام المنصور ، وأقام الشقراني - من ولد شقران مولى رسول الله ﷺ - ببابه أياماً لا يَصل إليه عطاؤه ، فخرج جعفر بن محمد من عند المنصور ، فقام الشقراني إليه ، فذكر له حاجته ، فرحب به ، ثم دخل ثانياً إلى المنصور، وخرج وعطاءُ الشقراني معه؛ فدفعه إليه، ثم قال [يعظه وينصحه وكان الشقراني يشرب الخمر]: يا شَقران ، إن الحَسَنَ من كل أحد حَسَنٌ ، و إنه منك أحْسنُ لمكانك منا [أي من أهل بيت رسول الله ﷺ]، وإن القبيح من كل أحد قبيح ، وهو منك أقبح لمكانك منا". فاستحسن الناسُ ما قاله جعفر، وذلك لأن الشقراني كان صاحب شراب مُسكِر. وقالوا: انظر كيف أحسن السعي في استنجاز طلبته ، وكيف رَحَّب به وأكرمه مع معرفته بحاله، وكيف وعظه ونهاه عن المنكر على وجه التعريض»!

وعن نفسه يذكر الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله قصة حدثت له في صباه،حيث فاته الصف الأول وبعض من الصلاة في أحد الأيام، وتنبَّه لذلك إمام مسجدهم -وهو الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ- وكان أحد مشائخ ابن باز، فتأثر لذلك كثيرا، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم تكلم (بأسلوب التعريض) قائلا: بعضُ الناس يجلس في سوالِيف ومشاغل حتى تفوته الصلاة!.

يقول الإمام ابن باز رحمه الله: فعرفت أنه يعنيني بذلك الكلام، فلم أتأخر بعدها أبدا، وذلك الموقف الذي حصل لي ما أنساه أبدا![٣١].

ومن مواقف الإمام صالح بن عثيمين -رحمه الله-في العدول عن التصريح والمواجهة إلى التعريض والتلميح أنه جاءه سائل بمجموعة من الأسئلة و الاستفسارات؛ أراد بها مقصدا سيئا، وهو أن يدفعُ الشيخ للقول بفتوى مَّا في قضية فتنةٍ وقعت ذلك الوقت...

فأجاب الشيخ عن الأسئلة كاملة، وفي نهاية المقابلة مال الشيخ إلى (التعريض بالنصيحة) لمَن تعمَّد إثارة مثل هذه الأسئلة، دون أن يُخاطِب الشخص الذي جمع الأسئلة ولم يخصه بشيء مباشرةً.[٣٢]

ثالثا: تليين الخطاب باستعمال أسلوب تجاهل العارف:

معناه والاختلاف في تسميته:

قال السكاكي : «هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ»[٣٣].. ، وهو توبيخ لطيف، يضع المخاطب أمام حكم العقل وسلطان الفكر، مع دفعه بلطف ولين للإحساس الذاتي بتأنيب الضمير، وتبكيت الذات..

وقد كره السَّكَّاكيّ تسميته بـ(تجاهل العارف) لأن له شواهد في القرآن الكريم، والقرآن منزه عن مثل هذا الوصف، فسمّاه لذلك: (سوق المعلوم مساق المجهول)[٣٤].

أدلة اللطف واللين في أسلوب تجاهل العارف:

منها ما يتضح بتأمل قول الرسل -صلوات الله عليهم- لأقوامهم المعرضين عن الهدى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ٢٤]؛ فإن صُورة المعنى في هذه الآية شكّ؛ والمراد بها اليقين.. فإن اليقين والحقيقة هما أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم أهل الهدى، وأن المشركين في الضلال مبين...

فمجيء الآية بهذا الأسلوب «يبعث المشركين على الفكر في حال أنفسهم وحال النبيﷺ والمؤمنين؛ وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم عل بعض، وسبي ذراريهم، واستباحة أموالهم، وقطع الأرحام وإتيان الفروج الحرام، وقتل النفوس التي حرم الله قتلها، وشرب الخمر التي تُذهب العقول وتُحسّن ارتكاب الفواحش، وفكّروا فيما النبيﷺ والمؤمنون عليه من صلة الأرحام، واجتناب الآثام، والأمر بالمعروف والنهي عن ا لمنكر، وإطعام المساكين وبر الوالدين، والمواظبة على عبادة الله تعالى.. علموا أن النبيﷺ والمسلمين على هدى، وأنهم على الضلالة؛ فبعثهم ذلك على الإسلام..

وهذه فائدة عظيمة) من فوائد أسلوب (سوق المعلوم مساق المجهول)[٣٥]

ومنها قولك للعاصي الذي تعظه وتنهاه: لا أدري أنا على حق فيما قلته لك أم لا!.

مع أن الواقع أنك تدري أنك على الحق، لأنك لم تتكلم إلا بما شرعه الله وسنّه رسولهﷺ، بينما المخاطب واقع في أمر محرم لا شك فيه.. لكنك تضع الأمر المعلوم في وعاء الشيء المجهول، لإثارة مشاركة السامع في تحصيل المعنى الصحيح، والأنصاف من نفسه، والارتداع عن غيه ارتداعا ذاتي المنبع.

نماذج تليين الخطاب باستعمال هذا الأسلوب:

من تجاهل العارف في الدعوة والنصح قول إبراهيمﷺلقومه : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[الأنبياء٥٢]فقد عبر بهذا السؤال الجاري على أسلوب (تجاهل العارف) تمهيدا لتخطئتهم بعد سماع إجابتهم عليه[٣٦]، لأنهم لن يجدوا جوابا شافيا يُعَرِّف بالتماثيل التي هي حجارة لا تضر ولا تنفع، ومع ذلك عبدوها من دون الله الذي هو وحده النافع الضارﷻ، فما كان المتوقع من جوابهم إلا أن يكون زيادة اعتراف بالجهالة والضلال حين قالوا {قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ }[الأنبياء٥٣]، فهنا جاءت ثمرة "تجاهل العارف" عندما أدانهم نبي اللهﷺ

بإقرار ألسنتهم.. حيث لم يجدوا غير هذا الجواب الغبي العاجز.. فقال لهم حينئذ: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء ٥٤] .

ومنه قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾[القمر ٤٣] فإنه بعد أن قص الله على المشركين أخبار المهلكين من أمثالهم؛ كقوم نوح وعاد ، جاءت هذه الآية مبدوءة بالاستفهام على سبيل على سبيل (سوق المعلوم مساق المجهول)، والغرض هو التوبيخ لهم وتخطئة زعمهم وظنهم في عدم استحقاقهم مثل ذلك العذاب الذي حلّ بأمثالهم؛ حتى كأنهم يحسبون كفارهم خيراً من الكفار الماضين المتحدَّث عن قصصهم، كأنه قيل: ليس لكفاركم خاصية تربأ بهم عن أن يلحقهم ما لحق الكفار الماضين..[٣٧]

وقد يكون الغرض من (التجاهل) إعطاء المخطئ فرصة ليتراجع عن خطئه، وليسعى في غسل أثر العيب عن نفسه، حتى ولو كان ثابتا عليه، حيث يتجاهل الناصح هذا الثبوت، ليدفعه بلطف نحو إنكاره لعله يسعى في تثبيت براءته منه، عن طريق تجنبه فيما يستقبل من حياته. وهذا تصرف لطيف وذكي وحكيم.. وقد وقعت له أمثلة كثيرة في أخبار عديد من المصلحين. كالشيخ ابن باز رحمه الله، إذ كان يسأل من بلغه عنه الخطأ، سؤال من لا يعرف ثبوته عليه. فيتجاوب المخطئ مع تجاهل الشيخ، ويظن أنه لا يعلم، ويحرص فيما بعد على تحاشي الوقوع فيه حرصا على حفظ صورته الحسنة عند الشيخ[٣٨].

هذا الأسلوب كما يأتي في صورة قولية فإنه يتحقق بصورة عملية:

قد يتحقق (تجاهل العارف) بطريقة عملية، يصوره موقف الشيخ عبد الرحمن السعدي حين يتجاهل معرفته بأن بعض جلسائه يدخن، أو أنه يقع في معصية أخرى يخفيها، فيبدو الشيخ وكأنه ليس له أدنى علم بذلك، رفعا للحرج، وتحينا لأفضل الفرص ووسيلة لانتقاء أنجع الأساليب في النصح.. مع أن حصول الفرصة قد يكون بعيدا والطريق إليها طويلا..

قال ابنه الشيخ محمد: (وإذا كان الداعي ممن يُشكُّ في شربه الدّخان يَعمد رحمه الله إلى عدم إحراجهم أو كَشْفِ سترهم، فيطرق عليهم الباب -إذا دعوه لمجلسهم- وينادينهم بصوته المسموع، أو يجعل زميله "أبو عُبود" يدخل قبله يستأذن له، ليعلم أهل البيت بأن الشيخ عند الباب.

فكان لمثل هذه المواقف الأثر البالغ عليهم، وعلى تركهم للمنكرات، مع العلم بأن الوالد قد أفرَدَ رسالة لطيفة بتحريم شرب الدخان، ويعرف الناس رأي الشيخ فيه، لكن كانت له حكمة في الإنكار، من حيث الزمان والمكان، توصل إلى المقصود، وكانت لديه مبادئ في الحكم على الأشياء من حيث الحل والحرمة، ومبدأ: «حتى يسمع منك الآخر يجب أن تقترب منه»)[٣٩]

رابعا: تليين الخطاب بالهمس والإسرار عند الأمر أو النهي:

الإسرار بالنصح، والهمس به أسلوب من أساليب البلاغة والبراعة في أداء المعاني، وتحقيق المقاصد، وله مقامات لا يحسن عندها استعمال الجهر والإعلان..

روى ابن أبي الدنيا في كتابه (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) عن عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : كان من قبلكم إذا رأى من أخيه شيئا يأمره في رفق ، فيؤجر في أمره ونهيه. وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه ، ويستعقب أخاه ، ويهتك ستره.[٤٠]

وقد أنكر رجل على الفضيل بن عياض لأنه جاهر له بالانتهار من أجل خطأ وقع منه في الصلاة، مذكراً للفضيل -على جلالة قدره- بأن الناصحين يدلون العباد إلى الله؛ فينبغي للناصح أن يُحسن الدلالة إلى ربه.

وذكر الدكتور سعد البريك أن شابا دخل على الشيخ ابن باز وقد امتلأت ملابس الشاب برائحة الدخان ؛ فتأفف أحد الجالسين من ذلك، فلما دنا من الشيخ وسلم عليه، همس الشيخ في أذنه بكلمات، وأبدى له شيئا من النصح في رفق ولطف.[٤١]

ونستخلص من الأقوال والمواقف التي ورد فيها الثناء على الإسرار أنه يحسن في حال كان الخطأ فرديا؛ أي حين يكون ضرره مقصورا على فاعله، أو كان خطأ مَخْفِيًا؛ قد اجتهد الواقع فيه لستر نفسه، أو كان خطأ عارضا؛ أي غير مقصود، أو كان الواقع فيه كارها له، مبتلى به، وهو يحب زواله عنه، ويجتهد في ذلك.. فيستحق مساعدته في مسعاه بإسرار الكلام عند نصحه.

وحينئذ يكون الستر والإسرار (كناية عملية) عن محبة الناصح للمخاطب، وحرصه على سلامة عرضه، وحماية سمعته من التلطيخ بأوحال المعاصي، كما يكون في كناية أخرى عن تقبيح المعصية؛ أي كأنها لشدة قبحها يتحاشى الناصح من إعلان الكلام فيها!...

وكل هذه الكنايات الضمنية تساعد متضافرة مع غيرها، وفيا بينها، على تغيير المنكر بأسلوب هين لين.

خامسا: تليين الخطاب بحسن الابتداء وبراعة الاستهلال:

من بلاغة المتكلم أن يجتلب لكلامه بداية تسترعي اهتمام المخاطب، وتوطد التعاون معه، وتؤسس للتفاهم فيما بين الناصح والمنصوح.

وحسن الابتداء هو صورة من (الاستدراج) للمخاطب لسماع ما بعده، إضافة لكونه ضرب من الأدب في الخطاب.

قال الخطيب القزويني: «ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظا وأحسن سبكا وأصح معنى» وذكر منها:"الابتداء" «لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان كما ذكرنا أقبل السامعُ على الكلام فوعى جميعه وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن»[٤٢]

من صور الابتداء الحسن والاستهلال البارع في النصيحة:

أ-المناداة بما يورث الود بين المتحاورين إن كانت النصيحة حوارا، أو بين الناصح والمنصوح إن كان أمر بالمعروف أو نهيا عن المنكر.

ومن المعاني المناسبة لتحصيل هذه الصورة تذكير المخاطب بما بينه وبين الناصح له من روابط الأخوة الدينية، أو الزمالة، أو الجوار، أو الاستهلال بالدعاء له ، مثال ذلك أن يقول: أخي.. إخواني..جارنا العزيز.. زميلي الكريم.. عباد الله.. رحمكم الله..جزاكم الله خيرا...وفقكم الله..

وكالمناداة بالاسم، مسبوقا بكلمة (أخي) أو (حبيبي) أو (يا ابن أخي) أو (أخي الكريم. الفاضل. المسلم)..

وقد يناديه بالاسم المجرد ، علامة إشارة إلى إسقاط الكلفة فيما بينهما، أو باعتباره وسيلة للتقرب منه.. كقول عزيز مصر ليوسف عليه السلام: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[يوسف٢٩]

وكما قال رسول اللهﷺ لعثمان بن مضعون رضي الله عنه معاتبا له في انصرافه عن أهله وانقطاعه للتبتل والعبادة: (يا عُثْمَانُ :أن الرَّهبانِيَّة لم تُكتب عَلينا، أفمَا لك فيَّ أسوَةٌ؛ فوَاللَّهِ إني أخشَاكُم لِلَّهِ وَأحفظُكُم لِحدُودِهِ) رواه أحمد وغيره.

وقد يناديه باسم أو كنية أو لقب ذا دلالة وإيحاء خاص، يحمل رسالة ذات مضمون مؤثر، كمناداة العاصي بـ(يا مسلم) وكمناداة الرسولﷺ للأنصار بقوله: (يا معشر الأنصار) مذكرا لهم بحق هذا الوصف الكريم[٤٣]

قال الكلاعي في كتابه (إحكام صنعة الكلام):

«وأنجع ما استُنزل به مكاتبٌ: الكُنية.

وقد قيل: ثلاثة أشياء تُصفي لك وُدَّ الأخ لأخيه: أن يُوَسِّع له إذا جلس إليه، ويبدأه بالسلام إذا وقف عليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه»..

ثم ذكر الكلاعيّ أن على الكاتب أن لا يُصدِّر كلامه بالألفاظ الخشنة، والمعاني القلقة، فإن ذلك إذا كان أول ما يقرع السمع، نفرت منه النفس، فإذا نفرت النفس لم تستأنس إلا بعد علاج شديد.."[٤٤]

وليس الابتداء الحسن مقصورا على أول الكلام، بل يكون في أثنائه أيضا، أي مع استهلال كل فقرة أو فكرة منه، كتكرار إبراهيم عليه الصلاة والسلام النداء لأبيه بقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾[مريم من الآيات٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢] في مطلع كل جملة من كلامه..

ب- الاستهلال بمدح المخاطب بما يعلمه من خصال الخير فيه:

فبذلك يكون مدحا صادقا، وليس مجاملة فجة، يكتشف المخاطب زيفها فتزيد من نفوره.

فإذا عدد له خصالا طيبة باقية فيه كان ذلك خير مفتاح لقلبه، وأقوى رباط للتواصل معه، فيثني عليه بالإسلام، والحسب، والنسب، والكرم، والشهامة.. مما يعلم أنه فيه.

ثم يتحول بعدها للكلام فيما يريده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

عن عابد بن أيوب الطوسي ، قال : قلت لأبي حيان التيمي : أبوك هذا يُحَدِّثُ عنه ، أي الرجال كان أبوك ؟ قال : « كان وكان ... وذكَرَ فضله ، إلا أنه أعان رجلا شاعرا على بيت هجاء »[٤٥]

ج- طلاقة وجه الناصح:

وذلك عند اللقاء، وعند النصح، وحتى عند الاختلاف.

وطلاقة الوجه تدخل في (حسن الابتداء وبراعة الاستهلال) من ناحية الفعل، كما أن غيرها من أساليب البيان، كالاستعارة التمثيلية، والكناية والتعريض، تتحقق في الفعل والعمل، كما هي في القول واللفظ، ومن التمثيلية الفعلية قصة الخصمين اللذين تسورا على داوود المحرابَ، واختصما على مسمع منه في قضيتهم، (فعرف داود أنه إنما وُبخ بذنبه)[٤٦].

ومن نماذج هذا الاستهلال البارع: ما حكته سعاد بنت محمد بن حمد العثيمين عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وكان يحب الصغار، ويداعبهم، قالت: و كنت في سنٍّ صغيرة؛أبلغ من العمر عشر سنوات، ألعب مع بناته في فناء بيته، وكنت أرتدي ملابس قصيرة "الشانيل"، فمسك بيدي وكلمني برفق، وداعبني حتى شعرت بالفرح والسرور، ثم قال لي: إن هذا اللبس لبس النصارى، وأمرني أن أبلغ أمي بذلك، فقد كانت نعم النصيحة، فلا أذكر والله أني لبست بعدها هذا النوع من اللباس.[٤٧]

سادسا: تليين الخطاب باستعمال أساليب العرض والحض ، والالتماس:

مثل: هل تفعل كذا.. هلا فعلت كذا.. مهلا هداك الله.. لعلك تفعل، أو لعلك لا تفعل... و"لولا " بمعنى "هلا" كقوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[الأنعام٤٣]، أي: فهلا.[٤٨]

فعن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ رأى على رجل صُفْرَةً فكرهها وقال : (لَوْ أَمَرْتُمْ هذا أَنْ يَغْسِل هذه الصُّفْرَةَ) .

وكانﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكره.[٤٩] ومن تمام -أو صور- ترك المواجهة بما يُكْرَهُ تقديمُ النصيحة في صورة عرض وتحضيض بمثل قولهﷺ هذا.

وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل ، عن أصحاب ابن مسعود -رضي الله عنهم- أنهم كانوا إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون ، يقولون لهم : مهلا؛ رحمكم الله![٥٠]

وقد استعمل الإمام الحسن البصري أسلوب التحضيض في حث الإمام الشعبي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقام رأى منه تقصيرا في القيام بالوجب، فقال له : هلا نهيت عن كذا... ؟ فقال الشعبي : يا أبا سعيد ، إني أكره أن أقول ما لا أفعل!. فقال الحسن البصري : غفر الله لك وأيُّنا يقول ما يفعل؟؛ وَدَّ الشيطانُ لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحدٌ بمعروف ولم يَنْهَ عن منكر.[٥١]

فإذا كان أسلوب الرفق في النصح مستحسنا مع أمثال الإمام الشعبي، وهو من خيار التابعين، فاستحسانه مع غيره من باب أولى.

سابعا: تليين الخطاب بحسن الانتهاء والختام

وذلك يكون بعد تمام القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد يطلق على (الختام) وصف (قفل الكلام)، وهي تسمية تدل على الأهمية البالغة، لأنه إن كان قفل الكلام محكما بقي أثر المعاني طويلا في نفس المخاطب، وإن لم يكن كذلك تشتت واضمحل أثره.

وقد بين الخطيب القزويني الوجه في أهمية ختم الكلام باللفظ والمعنى المنتقى، بأنه «آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس فإن كان مختارا كما وصفنا جَبَرَ ما عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله»[٥٢]

وقد استدل الخطيب لحسنه بأن جميع خواتيم السور القرآنية كفواتحها، في مجيئها على أحسن وجوه البلاغة وأكملها..[٥٣]

صور من حسن الختام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

منها: أن يحسن الثناء على المخاطب إن قبل الحق ويدعو له بالثبات عليه..

ومنها: أن لا يغضب لنفسه إن لم يقبل منه، وإن صح أن يقع منه غضب لربه ولدينه.. ولكن العادة أن من كان غضبه لله فسيظل حريصا على حفظ العلاقة مع العاصي تحينا لفرصة أخرى في دعوته..

ومن أحسن أساليب الختام: الدعاء بعد النصيحة.

ومنها: الاعتذار إن كان في كلامه قسوة، أو يفهم على غير وجهه، وطلب المسامحة.

ومنها: السلام عليه والتوديع عند المفارقة، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللَّهِ ﷺ: (إذا انْتَهَى أحدكم إلى الْمَجْلِس فَلْيُسَلِّمْ فإذا أرَادَ أنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَ الأوَّلُ بأحَقَّ مِنَ الآخِرِ) رواه الإمام أحمد وغيره.

المبحث الثاني

أساليب اللين والحكمة البلاغية في التعامل مع الأقوال والأفعال الخاطئة

أولا: ترجيح أسلم الاحتمالات إذا كان الكلام أو التصرف يحتمل أنواعا مختلفة من الفهم والتأويل..

وذلك بناء على قول الرسول ﷺ: (ادْفَعُوا الْحُدُودَ ما وَجَدْتُمْ لها مَدْفَعًا) أخرجه ابن ماجة في سننه..

واستنادا إلى أن العادة في الأساليب أن يكون لأيِّ كلام أو تصرف فعلي احتمالان أو أكثر..

وأن تحديد المقبول منها يخضع لاعتبارات متنوعة..

وأن السامع ليس ملزما بأن يأخذ بالظاهر ، أو بالمعنى الحقيقي والمباشر عندما يكون غيره أنفع منه ، أو أصح منه، في ذلك المقام؛ قال ابن عبد الهادي: «فأما الأخذ بالظاهر مع العلم بمنافاة الباطن له فقبيح»[٥٤]

القرائن المعينة على تحديد الدلالة المقصودة:

منها: سؤال صاحب الشأن عن مراده بكلامه أو تصرفه، فإنه هو المعني به:

فالكلام كما يقول البلاغيون والأصوليون ملك لصاحبه.

فالأصل حمل الكلام على وفق مراد قائله إذا عُلم، وأما الحمل على خلافه فخلاف الأصل[٥٥].

وذلك لأن من الكلام المجاز، والكناية، والتعريض.. وفروع هذه الأساليب، مما يوجب الوقوف على القرائن الخارجية، لمعرفة المراد، لا سيما عند الاختلاف، أو عند ترتُّب حكم خاص بناء على المعنى المختلف فيه.

فإذا ورد على السامع كلامٌ من شخص؛ مشافهة أو منقولا عنه، فالمتبادر -أولا- حمل الكلام على ظاهره، من غير تحميل له ما لا يحتمله من وجوه التأويل.. ثم إن كان ظاهره غير لائق، أو مضرا بقائله، وجب الرجوع للمتكلم به لمعرفة مراده منه، فإليه ينتهي القول الفصل في تفسيره.

قال الزرقاني في شرح موطأ الإمام مالك: (الكلام يُحمل على ظاهره فيُحمد على حسنه ويُلام على ضده؛ حتى يُعلم مراد قائله؛ فيحمل عليه دُونَ ظاهره)[٥٦]..

وكان الزرقاني قد استنتج هذا الأسلوب في التلقي من حديث يحيى بن سَعِيدٍ رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ جَالِسًا وَقَبْرٌ يُحْفَرُ بِالْمَدِينَةِ فَاطَّلَعَ رَجُلٌ فِي الْقَبْرِ فَقَالَ: بِئْسَ مَضْجَعُ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ رسول الله ﷺ (بِئْسَ ما قُلْتَ!). فَقَالَ الرَّجُلُ: إني لم أردْ هذا يا رَسُول الله؛ إنما أرَدْتُ الْقَتْلَ في سَبِيلِ الله!. فَقَالَ رسول الله ﷺ : (لَا مِثْل لِلْقَتْلِ فِي سَبِيلِ الله. ما على الأرْضِ بُقْعَةٌ هِيَ أحَبُّ إلي أن يَكُونَ قبري بها منها ثلاث مَرَّاتٍ) يعني: من المدينة المنورة. رواه مالك وغيره.

وذكر النَّمْري مثل استنتاج الزرقاني تعليقا على هذا الحديث أيضا؛ فقال: (وفيه أن القائل إذا قال قولا إنه يُنظر قولُه فيُحمد على المحمود منه، ويلام على ضده؛ حتى يُعلم مُراده مما يحتمله كلامه؛ فيُحمل قوله على ما أراد مما يحتمل معناه، دون ظاهره)[٥٧].

وكان من عادة الإمام ابن باز -رحمه الله- أنه كان إذا نقل إليه عن شخص ما يُكره من القول أو الفعل، فإن ينظر فيه، فإن كان يحتمل تأويلا حسنا أوَّله به، فإن لم يحتمل ذلك قال: «لعل النقل فيه ما فيه، فالكلام المنقول يتغير تغيرا كبيرا من شخص إلى شخص، حتى لربما كان الواقعُ على عكس ما نُقل إلينا»..

فإن ألح الناقل بتأكيد مصداقيته، أو كان الكلام منقولا عبر وسيلة أخرى موثوقة ، فإن لا يستعجل في الحكم، بل يسعى إلى مقابلة قائله، ويفاتحه في شأن ما نقل إليه، ويطلب تفسيره، ويقبله منه...

حصل هذا من الشيخ كثيرا جدا.. وكان ربما قال: «وما آفة الأخبار إلا رواتها»، بعد أن يتلقى التوضيح من صاحب الشأن[٥٨]

يقول الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين: ألقيتُ في النادي الأدبي عام ١٣٧٨هـ رباعيات.. فجاء في إحداها قولي "طارت الروح إلى أرض الخلود"، فلما نهض -رحمه الله- للتعليق، قال: إن هذا حُكمٌ مُسْبَق؛ وهذا ليس إلا لله!. فطلبتُ التعليق، وقلت: يا شيخي؛ ألا يُحمل هذا على التفاؤل الذي يُحبه النبيﷺ؟. فقال: أما على هذا فلا حَرج![٥٩].

ومن حسن التلقي عند الشيخ أنه -كما قال عنه الدكتور حمود البدر- لم يكن يعتمد على المساعدين في تلقي الأسئلة، ولا في الاتصال على من يريد أن يستوضح منهم أمر ملتبسا في موضوع أو قضية ، بل كان يتولى ذلك بنفسه.

قال الدكتور البدر: وأذكر أنني عندما كنت في وكالة جامعة الملك سعود كنت أتلقى منه المكالمات مباشرةً، ودون وسيط، كلما بلغه شيء عن الجامعة، أو عن أسلوبي في التعامل مع بعض القضايا[٦٠].

ومن مكملات البلاغة والأدب الشرعي في هذا التعرف المباشر إلى مقاصد القائل، أن الشيخ ابن باز يصوغ مقابلاته التوضيحية في صورة الاستفسار المجرد والبحث النزيه عن الحقيقية من فم صاحب الشأن، وليس على سبيل التجريم أو الاتهام له، ولا علي سبيل الاستعداء والتهجم عليه.. ولذلك فإن القائل أو الفاعل لما هو محل الاشتباه الشرعي لم يكن يقف في موقف الدفاع عن نفسه أو الجدال مع الشيخ ، بل كان يجالسه بروح التفاهم، والاستفهام، والاستفادة..

يقول الدكتور حمود البدر عن طريقة الشيخ عندما يستفسر منه حول تعامله مع بعض قضايا جامعة الملك سعود: «ولم أشعر يوما أنني كنت تحت ضغط عندما يناقشني في القضية مثار البحث، بل كنتُ أشعر أنني أمام والد يَهمُّه مصلحة أبنائه، ولعل الكثيرين يشاركونني هذا الرأي ، خاصة أولئك الذين كانت مواقعهم تجعل سماحته يستقصي بعض القضايا الشرعية التي بلغته محرفة أو مختزلة)..[٦١]

وهذا السلوك الشرعي البليغ منح الشيخ فرصة في أن يقدم النصيحة المتكاملة والتوجيه الحكيم، بعد الاستيضاح والاستبيان.. وهيأ لأنْ يَتقبَّل منه المخاطب.. ويخرج من عنده راضيا طيب الخاطر سليم القلب.

بل كان الشيخ يبذل جهد في التماس أحسن الاحتمالات لمن وقع في المعصية أو اتهم بها، ما دام المقام يحتمل ذلك التأويل، قالت دَوش بنت فلاح الدوسري:

«يذكر أحد الأشخاص الذين اعتادوا الذهاب إلى الشيخ، أنه أثناء سلام الناس عليه في مجلسه، صافحه رجل كان فيه رائحة سجائر، فسارع أحد المتحمسين وأخبر الشيخ، كأنه يريد منه تعنيف الرجل وتوبيخه، إلا أنه برحابة صدره المعودة، وحسن ظنه بالناس، قال له -ما معناه- : لا تتعجّل بالحكم، فلربما كان راكبا مع شخص مدخن، فأصابه شيء منه».[٦٢]

فإذا ما اتضح للشيخ أن كلام أو فعلا وتصرفا ما لا يحتملان التوجيه على المحمل الحسن، لم يُسقط الشيخ من صدر منه ذلك جملة وتفصيلا، بل كان يعدل وينصف في الحكم عليه، فيحصر الخطأ في حدوده من شخصية المخطئ أو عَمَلِه، ثم يثني على الجانب الحسن في الشخص، أو في الكتاب الذي تضمن الخطأ.

ومن تطبيقات هذا الإنصاف أنه وصل للشيخ ابن باز كتاب للمَوْدُودِيِّ -رحمهما الله- بعنوان (النظرية السياسية)، فوجد أن المودودي فسر قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد ٢٥]بأن المقصود بالحديد "القوة السياسية"، فلم يرض الشيخ بهذا التفسير، لكن سعى في التماس مخرج له، ولو على وجه بعيد، فقال: «يمكن أن يكون الأصل [أي قبل ترجمة الكتاب من لغته الأصلية إلى العربية]-: "قوة أساسية"، قال راوي الموقف: فقلت للشيخ: لا، في الأصل "قوة سياسية"، والمترجم التزم بالأصل، فقال: حسنا، هذا أمر بسيط.[٦٣]

فقوله "هذا أمر بسيط" يفيد أن الشيخ لم يجعل من هذا الخطأ الاجتهادي سببا لإسقاط الكتاب أو مؤلفه جملة وتفصيلا، بل حصر الخطأ في زاوية ضيقة، وحفظ للكتاب ولمؤلفه قيمتهما فيما سوى ذلك.

وكان هذا هو منهج الشيخ ابن عثيمين، معاصر الشيخ ابن باز، وتلميذه العظيم. حكى ذلك عنه أشخاص كثيرون، منهم الأستاذ محمد الشَدُّي، الذي أثنى على حسن تعامل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- مع أخطاء الآخرين..

ومن ذلك أنه وصل للشيخ اتهام لجمعية ثقافية يرأسها الأستاذ محمد الشدي، بأن لديها رسومات غير مباحة في الشرع.. فتخاطب الشيخ مباشرة مع الرئيس، واستفسر منه.. وحصل منه على بيان مفصل بواقع الحال، وقد تفهم الشيخ جواب رئيسها، وأثنى على دور الجمعية في رعاية الشباب، وأكد على وجوب خلو الرسوم من ذوات الأرواح..

وهو بهذا التعامل في تفسير المواقف نقل ما يمكن أن يصف في خانة التنافر بين الشيخ وبين رئيس الجمعية إلى خانة العلاقة الثقافية أبوية.[٦٤]

وإذا كانت هذه هي رؤية البلاغيين، فإن معظم الأصوليون يحملون نفس الرؤية في التعامل مع كلام أو تصرف يحمل -في أصل بنيته- بذور المرونة في التأويل والاحتمالات المتعددة في التفسير، ويقبل الحمل على عدد من الوجوه، القوية والضعيفة.. فلهذا السبب لم يرضوا بحكم (مَن حَكَمَ بما يقع في خاطره من غير استناد إلى أمر خارجي؛ مِن بَيِّنَةٍ ونحوها)[٦٥].

ومن جهة أخرى مؤيدة لهذا المسلك: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من (القضاء) بين الناس، أو الفصل في مشاكلهم ، وتمييز الشرعي منها وتأييده، وكشف غير الشرعي منها وإبطاله، وهنا يلتقي الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر مع القاضي، في وجوب معرفة كل منهما بالحلال والحرام وتمييزهما عن المكروه والمستحب، والمشتبه، والاطلاع على أحوال الناس، والتعرف على مذاهبهم الفقيهة، والتنبه لاختلافات ظروفهم.. ودوافع أعمالهم..

كما يلتقي (الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر) مع (القاضي) في الحاجة إلى حسن التمييز والإنصاف، والعدل، والموضوعية..

وقد حصل للإمام ابن باز رحمه الله موقف يجسد حقيقة الالتقاء في المهام والمعارف بين القاضي والناصح.. وذلك أنه لما عُيِّن قاضيا لمنطقة الخرج كان يسعى في النصح والدعوة والتوجيه والإرشاد فاعترض عليه أحد أقاربه فيما أشغل به نفسه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشفاعة للناس، وقضاء حوائجهم.. فأجاب الشيخ على اعتراضه ، قائلا له: « أما الشفاعة وقضاء حوائج الناس فأنا أعملها وقصدي الأول حديث رسول الله ﷺ [...]

أما اقتصار القضاء على بعير وحمار وبقرة وشاة ونحوها فلا خير فيه. وليس القضاء مقتصر على هذا؛ بل من أهم أعماله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح والدعوة إلى الله بحكمة»...[٦٦]

وقد وصفه الدكتور حمود البدر الشيخ بوصف يناسب كلا من القاضي والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، وهو أنه لم يكن يستعجل «حتى يستوضح من طرف القضية المطروحة جميع جوانبها»[٦٧]

ثانيا: حسن التلقي باستعمال الأسلوب الحكيم:

وهو عبارة عن ذكر الأهم تعريضا بالمتكلم أو السائل على تركه له[٦٨].

أو هو: تلقي المخاطب بغير ما يَتَرَقَّب؛ بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيها على أنه الأولى بالقصد.

أو: تلقي السائل بغير ما يَتطلَّب؛ بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له[٦٩]

فهو على هذه الحال معدودٌ في (أساليب التلقي) التي يحسن بالآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يتقنها ليستعملها في موضعها اللائق بها، فإن البلاغة تعني (مطابقة الكلام لمقتضى الحال).. والحال هو الاعتبار المناسب.. فيأتي بالكلام -أو الفعل- المناسب للمقام الذي يتطلبه.

صور الأسلوب الحكيم وأمثلته:

ذكر الزركشي في البرهان صورا عديدة، منها:

«أن يُعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيها على أنه كان من حق السؤال إن يكون كذلك

ومنها: أن يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه في السؤال؛ وقد أغفله المتكلم [أي أن المتكلم أهمل السؤال عما هو أحوج إليه في الواقع وسأل عما لا يحتاجه، أو عما هو أقل حاجة إليه]

ومنها: يجيء الجواب أنقص لضرورة الحال..

ومثال الإجابة بما هو أنفع وأهم للسائل قوله تعال: ﴿ يَسْأَلونك عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاس وَالحَجِّ﴾ [البقرة١٨٩] فعُدل عن الجواب لما قالوا: ما بال الهلال يبدو رقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟. فأجيبوا بما أجيبوا به لينتبهوا إلى أن الأهم ما تركوا السؤال عنه..

وقد يُعدل عن الجواب إذا كان السائل قصده التعنت كقوله تعالى ﴿وَيَسْأَلونك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُم مِّن العِلمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء٨٥] فإن اليهود إنما سألوا تعجيزا وتغليظا».[٧٠]

تطبيقات الأسلوب الحكيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

منها : أن يصرف السامع كلاما خاطئا، أو إشارة مستكرهة إلى احتمال طيب مقبول، تنبيها للمخطئ على أن الأولى به أن يتكلم وأن يفكر بهذه الطريقة الصحيحة النافعة، أو عليه أن يتجه في تفكيره وأهدافه إلى مثل هذا المقصد الطيب..

وقد يكون في هذه الصورة ونحوها من الأسلوب الحكيم شوبٌ من (التعريض)، أي يكون فيها إشارة إلى المطلوب الأكمل إشارة عَرَضية، تُفهم من جانب الكلام، لا من حاقِّ ألفاظه. كما قد يكون فيه (استدراج بليغ) للمخاطب إلى ما ينفعه من وجه خفي، ومؤثر.

ومنها: أنه قد لا يكون السؤال أو الطلب حريا بالإجابة عليه أو تنفيذه، لأنه من باب تعنت، لكن الناصح يستفيد من هذا الموقف بشكل إيجابي، وذلك بأن يقدم للسائل المتعنت فائدة لها اتصال بالسؤال من وجه ما، ويخبره بما يلزمه من الحق الذي يحتاج إليه لصلاح أمره: كقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر ٦-٧]: فأجابهم بقوله ﷺ: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر٨] فلم يرشد الله ﷻ نبيه ﷺ لردٍّ مطابق لذلك الطلب المتعنت بل أمره بأن يتلقاهم ببيانٍ هو أجدى وأنفع لهم.. وقد أريد من هذا الجواب «إزالة جهالتهم؛ إذ طلبوا ا نزول الملائكة علامة على التصديق. لأنهم وإن طلبوا ذلك بقصد التهكم فهم مع ذلك معتقدون أن نزول الملائكة هو آية صدق الرسول ﷺ؛ فكان جوابهم مشوباً بطرفٍ من (الأسلوب الحكيم) ، وهو صرفهم إلى تعليمهم التمييز بين آيات الرسل وبين آيات العذاب ، فأراد الله أن لا يدخرهم هدياً... وإنّا فهُمْ أحرياءُ بأن لا يُجابوا)[٧١].

ثالثا: تغيير مجرى الحديث المكروه في المجلس:

وهذا قريب من الأسلوب الحكيم.. أو نوع منه في بعض تطبيقاته.

وذلك أنه قد لا يكون في استطاعة الناصح مواجهة المخاطب، أو المخاطبين، بالإنكار الصريح على خطأ يخوضون فيه، تحاشيا من نفورهم منه، أو خشية من استثقالهم لوجوده فيما بينهم، أو تجنبا للدخول مع بعض منهم في مجادلةٍ لا تفيد في تغيير المنكر، وقد توغر الصدور.. بينما يكون في بقائه بينهم وقوةِ علاقته بهم نفع كبير لهم.. فيُحقق الناصح المصلحتين -أي حفظ علاقته بهم، وتغيير المنكر- بأسلوب حكيم، وذلك بتغيير الحديث إلى الكلام في المباح، أو في الأمر النافع لهم في دينهم ودنياهم.

وكان النبي الكريم ﷺ ربما اختار هذا الأسلوب في الإنكار، فقد أخبر خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ: (كان لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه). أخرجه أبو داود والترمذي في الشمائل.

قال الخطيب البغدادي في التعليق على هذا الخلق النبوي: فيه أنه «يستحب للفقيه الرفق ، والمداراة ، والاحتمال»[٧٢].

وهذا الأسلوب كان يطبقه الشيخ عبد الرحمن السعدي في المجالس التي لا ينفع فيها ما سواه من الأساليب، حيث كان يُسِرُّ إلى بعض أصدقائه من طلبة العلم إذا ذهب إجابة لدعوةٍ.. فيقول: إذا سمعتَ الحاضرين أو المدعوين يتكلمون في الناس وأعراضهم، أو يتكلمون بكلام فارغ؛ فاسألني سؤالا، أو اذكر مسألة شرعية أو عِلمية، وسوف أقوم بالإجابة عن المسألة .... فكان إذا حصل ذلك وتكلم الشيخ يسكت الجميعُ، وينصتون للشيخ ويسمعون كلامه.. وبهذا يتحول المجلس من مجلس لغو إلى حلقة ذكر... دون إحراج أحد، وهذا من حكمته رحمه الله.[٧٣]

وكذلك الشيخ ابن باز رحمه الله حيث يقول أبو عبد الرحمن الظاهري: حضرت غداء الجُمعة عند الشيخ ابن باز مع ضيف من إحدى القبائل المعروفة ، ودار حديثنا عن الأنساب، فصرفنا عن ذلك بلطف.[٧٤]

وعلى هذا النهج جرى تلميذهما الإمام ابن عثيمين ، رحمه الله، فقد كان كما قال الشيخ عبد الرحمن النهابي: لايُثرِّبُ أحدا في المجلس، بل إنَّ الكثير من الجلساء قد يتجاوزون في الكلام فيقطع عليهم ذلك بنقل الكلام إلى موضوع آخر..[٧٥]

الفصل الثالث

صفات الخطاب المباشر والحازم ومقاماتهما

المقصود بكون الأسلوب مباشراً أو حازما:

أما كونه (مباشرا) فيتحقق عند خلوه من طرق الدلالة غير الحقيقية، كالتشبيه والاستعارة والمثل، وخلوه من الكناية والتعريض، والأسلوب الحكيم، والتورية، وغير ذلك مما يصرف به الكلام عن ظاهره،ويدل على معانيه بطريق غير مباشر..

وبه يكون كلام الناصح حقيقيا مباشرا قريب المنال، واضح المقاصد، لا مواربة فيه ولا يحتاج للتفكير البعيد أو العميق لإدراك مقاصده، ولا يحتمل التأويل، ولا الصرف عن ظاهره.

وأما كون الأسلوب (حازما) فيتحقق بخلوه من ألفاظ التخيير، مثل عبارة "إن شئت" أو" إن رأيت ذلك"، وبخلوه من التصدير بألفاظ الالتماس والترجي، مما سبقت الإشارة إليه، مثل "لعلك تفعل" أو العرض مثل "يمكنك أن تفعل"..

وكذا بخلوه من أي لفظ يوحي بجواز التواني والتراخي عن تنفيذ مضمونه إن كان واجبا، أو التراخي في الامتناع عنه إن كان محظورا.

مقامات الأسلوب المباشر وأساليبه:

منها: ضيق المقام عن التفصيل وعن الأساليب المجازية أو الكنائية، وذلك يقع كثيرا عندما يخاف المتكلم تفويت فرصة سانحة للتغيير، أو عند خشية الوقوع في مكروه يوشك أن يقع فيه المخاطب، وأشباه ذلك. فيبادر المتكلم المعاني مبادرة، ويأمر أمرا يعكس ضيق المجال عن الخيارات والتفاصيل.

وقد كانت وصايا الرسول ﷺ وهو في النزع من هذا القبيل ؛ حيث جاءت بأسلوب مباشر وحاسما، فعن عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ قَالَ: كان آخِرُ كَلَامِ النبي ﷺ: (الصَّلَاةَ وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) رواه ابن ماجة وغيره.

فهذا الأمر النبوي خال من التصوير والتفصيل؛ لضيق المقام عما سواه من الأساليب ولأن التشبيه والمثل لو عبر بهما قد يحتملان التأويل بوجه ما، وأما هذا الأسلوب المباشر فلا يحتمل غير معناه الظاهر.

ومنها: مقام خطاب الغبي، أو الطفل الصغير، أو بطيء الفهم، أو مشغول الذهن..

فقد لا يكون من المصلحة الاعتماد على أي من أساليب المجاز أو الكناية أو التعريض؛ فيحسن تركها واستعمال أسلوب الصراحة والوضوح في النصح؛ لئلا يقع المتكلم مع المخاطب في مثل ما وقع فيه ذلك الرجل الذي أخذ بظاهر كلام النبيﷺ ولم يدرك أنه يريد الكناية[٧٦] ، وذلك أنهﷺ رأى عليه ثوبا معصفرا -أي مصبوغا بالصفرة- فقال له : (إن ثوبك هذا لو كان في تنور أهلك أو تحت قدر أهلك لكان خيرا لك) فذهب الرجل، فلا يدرى ، أجَعَله في التنور أو تحت القدر ، ثم غدا على النبي ﷺ فقال لهﷺ : (ما فعل الثوب؟) قال : صنعتُ ما أمرتني به . فقالﷺ: (ما كذا أمرتك، أفلا ألقيته على بعض نسائك ؟) . قال ابن قتيبة : وإنما أراد النبي ﷺ أنك لو بعته ثم اشتريتَ بثمنه دقيقا تخبزه وحطباً توقده لكان خيرا لك من أن تلبسه، ولم يرد إحراقه ، لأن ذلك فساد، فلما أحرقه الرجل قال : (ما كذا أمرتك)[٧٧].

وقد تكرر الفهم الحرفي ذاته لمثل لعبارة مماثلة، في قصة عبد الله بن سلام رضي الله عنه، مع رجل رأى عليه ثوبا معصفرا أيضا.[٧٨]

وهكذا فعند الخشية من سوء الفهم يتحتم ترك المجاز والتشبيه والكناية إلى الحقيقة، كما فعل النبيﷺ في الإنكار على رجل آخر فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على رجل صُفْرَةً فكرهها وقال : (لوْ أمَرْتُمْ هذا أنْ يَغْسِل هذه الصُّفْرَةَ).[٧٩]

ومن الواضح أنهﷺ كان حريصا على تلطيف الأمر في الموقفين، ففيْ الأول جاء تلطيفه بطريق الكناية البديعة، وفي الثاني جاء تلطيفه بأمرين، أحدهما أنه لم يواجه الرجل بما يكرهه؛ وإنما أوكل المهمة لصحابته رضي الله عنهم، والآخر أنهﷺ استعمل أسلوب (العرض والحض) بكلمة (لو)، وكأنه يشير لهم باللطف معه نيابة عنهﷺ.

ومنها: مقام خطاب المكابر أو المصر على الخطأ، أو خطاب الشخص الذي انتشر شره وفساده، وقد يقتدي به الآخرون، وأشباه هؤلاء، فقد صرح الرسول ﷺ لمثل هذه الأحوال؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة، فقيل: منعَ ابنُ جَميل! فقال النبيﷺ: (ما ينقِمُ ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله)رواه البخاري ومسلم.

ومع أنهﷺ صرح باسمه، لكن لم يكن الحديث كلّه تصريحا وكلاما مباشرا، بل بقي لأساليب اللين والحكمة فيه مجال، وذلك أنهﷺ لم يصرح بكفران "ابن جميل" للنعمة التي أنعم الله بها عليه، ولم يصرح بالتقريع له على سوء صنيعه عندما قابل الإحسان بالإساءة، بل عَرَّضﷺ بهذه المعاني تعريضا.[٨٠]، وهذا يدل على أن الأصل في أساليب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر اللينُ والحكمة وبُعد النظر والأناةُ في إحداث التغيير المطلوب.

ومنها مقام لا يكون المنصوح فيه مكابرا ، لكن يكون في معصيته ما يوحي بالكبر، ولو لم يقصد ذلك، فيعلن الناصحُ النكيرَ عليه، ليكسر حدة النفس التي قد تورد صاحبها المهالك.. لا سيما إذا أمِن الناصحُ الضررَ على نفسه من غضب المخاطب، أو هجره، وعلى شرط أن يكون ذلك في مجلس أو مقام يناسبه مثل هذا التصريح.. أي بين عقلاء لا يُحمِّلون الكلام والموقف ما لا يحتمله.

ومن هذا أنه جاء مسئول كبير إلى الشيخ ابن باز -رحمه الله- في يوم من الأيام، فكان الشيخ جالسا، وهذا المسئول قريبا منه، وهو مرتدٍ عباءة طويلة، فحينما أراد الشيخ القيام كانَ قدمه وطئت طرفا من عباءة المسئول، فعرف الشيخ أنها طويلة، فقال له: فلان. قال: نعم!، قال: أيش هذا؛ يشلك [هو المشلح أو العباءة للرجل]طويلٌ، هداك الله.[٨١]

مقاماتُ الأسلوب الحازم والشديد في الأمر والنهي:

١/ أن هذا الأسلوب يستساغ في شأن خطأ يمس العقيدة ، أو يمس ركنا من أركان الدين الخمسة، أو شيئا من حقوق الآخرين، في العرض والنفس والمال .

قال أبو يزيد البسطامي: (اختلافُ العلماء رحمةٌ إلا في تجريد التوحيد)[٨٢]

ومن استعمال الأسلوب الحازم في الإنكار على من أخطأ في العقيدة ما حكاه الشيخ عبد الله الجلالي قال: أذكر أننا كنا في حفل في مدينة عنيزة... فقام أحد الشعراء -هداه الله ، وبحسن نية-

فأثنى على رجل من المسئولين، فقال: "لك النهي والأمر". فغضب فضيلته -رحمة الله عليه- وقال: هذا لا يكون إلا لله ﷻ، وهو الذي له النهي والأمر، وكان ذلك المسئول أيضا رجلا فاضلا، فشكر فضيلة الشيخ، وقال: جزاك الله خيرا، أنا لا أستحق هذا، لأن هذا من اختصاص الله عز وجل، وهو الذي له النهي والأمر...[٨٣]

ومن الحزم في الإنكار على من أخطأ خطأ مخِلاً بركن من أركان الدين، ما حكاه عمرو بن شداد الليثي، قال : « والله إني لأصلّي أمام المِسْور بن مَخْرمة ، فصليتُ صلاة الشّباب؛ كنقر الديك ، فزحف إلي ، فقال : قم فصلّ ، قال : قلت : قد صليت عافاك الله ، قال : كذبت والله ما صليت ، والله لا تريمُ حتى تصلي ، قال : فقمت فصليت فأتممت الركوع والسجود ، فقال مسور : والله لا تعصون الله ونحن ننظر ما استطعناه »[٨٤]

٢/مقام تراعى فيه اعتبارات تعود إلى حال المخاطب، كالاعتبارات التي تضمنتها قصة عبد الحي الكتاني في هذا الموقف مع والده، وقد ذكرها في كتابه (التراتيب الإدارية)، قال: كان الشيخ الوالد رحمه الله عاتب مرة بعض جلسائه في وجهه؛ فعرَّض له بأن المصطفىﷺ كان لا يواجه أحدا بما يكره في وجهه وأنه كان يقول: (ما بال أقوام). يقول الكتاني: فأجبتُ على الرجل بقول المصطفىﷺ لأبي ذرٍّ -كما في الصحيح-: (فيك خصلة من خصال الجاهلية)، وتعبيسه ﷺفي وجه ابن أم مكتوم»

ثم قال الكتاني: وجماع القول في الباب أنهﷺ كان يختلف حاله باختلاف الناس بين راسخ الود ثابت الاعتقاد، وبين غيره من المذبذبين؛ فكان يخاطب كل واحد على حسب منزلته وإيمانه»[٨٥]

ومن هذا القبيل الخطأ حين يقع من العالم أو ممن يقتدى به وينظر لأفعاله، فإن الخطأ منهما ليس كالخطأ يقع من غيرهما..

فعن أسلمَ -مولى عمر- قال: رأى عمر على طلحة ثوباً مصبوغاً وهو محرم، فقال: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنما هو مدر، فقال: إنكم أيها الرهط أئمة تقتدي بكم الناس، ولو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال إن طلحة كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام.[٨٦]

وأما الخطأ ممن ليس في مستوى القدوة فالتعامل معه قد يختلف، حتى لو كان الخطأ كبيرا، كخطأ ذلك الرجل الذي كان متختما بخاتم من ذهب، فأنكر عليه الشيخ ابن باز بأسلوب لين ولغة هادئة محببة، والقصة حكاها محمد عبد الستار، قال:

«حَدَثَ مع أحد الزملاء.. عندما أخبره مرافقُ الشيخ أن هذا الزميل يضع في أصبعه خاتما من ذهب، فما كان من فضيلته إلا أن تحدث إلى هذا الزميل بلغة هادئة ومحببة؛ مبيناً له فيها حكم الشرع في استخدام الذهب للرجال، بطريقةٍ لا تخلو من الودِّ، الأمرُ الذي جعل زميلنا يُسارع على الفور بخلع خاتم الذهب من إصبعه، ويتقدم بخالص الشكر لفضيلته على هذه النصيحة الثمينة».[٨٧]

٣/ربما أغلظ الناصح على من خالف ما هو مشتهر من أحكام الدين، ولو كان أدبا لا فرضا واجبا، وقد يرجع تفضيل أسلوب الشدة لمثل هذه الآداب مراعاةً لخصوصية مَّا في المكان أو الزمان الذي وقع فيه المنكر..

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أغلظ النكير على من رفع صوته في مسجد رسول اللهﷺ ؛ إذ رأى الخليفة آنذاك أن هذا الخطأ يقتضي شدة النكير ، لأن للمساجد الثلاثة من الخصوصية ما ليس لما سواها من مساجد المسلمين.. فعن السائب بن زيد قال : كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَحَصَبَنِي رَجُلٌ ، فَنظرتُ فإذا عمرُ بنُ الْخَطَّابِ ، فقال : اذهَب ، ائتِني بِهَذين ، فجِئْتُه بهما ، فقال : مَن أنتُمَا - أو مِن أينَ أنتُمَا ؟ - قالا : مِنْ أهل الطَّائفِ، قال : لو كُنتُمَا مِن أهلِ البَلَدِ ، لأوجَعتُكُمَا ، ترفعَان أصوَاتكُما فِي مَسجِدِ رَسُول اللَّهِﷺ) رواه البخاري.

٤/من مقامات الحزم والشدة في الأسلوب أن يقع الخطأ من طالب علم فيما لا يتوقع الخطأ في مثله، من أمور الاعتقاد أو الشريعة الكلية، مثل ما حكى الشيخ راشد الزهراني أنَّ أحد الطلبة سأل الشيخ ابن باز رحمه الله عن تقديم قول الصحابي على قول النبيﷺ ، فغضب الشيخ من هذا الكلام، وكان الشيخ يضرب بيده على رأسه، ويقول: يا فلان لا بد أن تضع سنة النبيﷺ على رأسك».

ومع مشروعية غضب الشيخ لسنة رسول اللهﷺ، وعلى طالب من طلابه، فإنه بعد فترة وجيزة استدعى ذلك الطالب، ليعتذر منه، وقال له: لا بد أن تحللنا؛ فإني لم أقل ذلك إلا من باب الحرص على إقامة سنة النبيﷺ.[٨٨]

أساليب الحزم والشدة في الأمر والنهي:

لهذا الأسلوب صفات تعبر عنه ، منها:

١/نبرة الصوت المميزة، ومنها العالية، والنبرة المتوعدة.. وغيرها. وكاقتران الكلام بأمارات الغضب البادية على محياه.. عن أبي هريرة قال جاء رسول اللَّهِ □ إلى المَسجِدِ فرَآهم عزِين مُتفرِّقِينَ قال فغضِبَ غضَبًا شديدًا ما رَأيناه غضِبَ غضَبًا أشدَّ منه وقال: (واللهِ لقد هَمَمتُ أن آمر

رجلاً يؤمّ الناس ثُمَّ أتتبَّعَ هَؤلاءِ الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَن الصَّلاةِ في دُورِهِمْ فاحرقها عليهم) رواه الإمام أحمد. وفي هذا الحديث تأكيد بالقسم أيضا، زاد في شدة الأسلوب وحزمه.

وحدّث أبو سعيد يوما بحديث؛ فقال له رجل: أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فغضب غضبا شديدا ، ثم قال: أحدثكم بغير ما سمعت!!! من كذب على رسول الله بُني له أو تبوأ مقعده من النار)[٨٩]

٢/اختيار ألفاظ الكلام الدالة عليه، مثل : "يجيب، إياك، لا أراك".. وكالأمر بألفاظ صريحة مثل قول ابن باز لأحد طلابه: «لابد أن تضع سنة رسول الله فوق رأسك» في قصة سبق ذكرها.

وكالتأكيد بأدواته، ومنها القسم، وإن، وقد، والسين وسوف، وأسلوب القصر، مثل قول الشيخ ابن عثيمين في الإنكار على كلمة شركية: «هذا لا يكون إلا لله» كما سبق أيضا.

٣/دلالة بنية الجملة وتركيب الكلام، كتوجيه اللوم المباشر الصريح في قول الرسولﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:(إنك امرؤ فيك جاهلية).

ومثل تكرار الألفاظ والجمل، كقول الرسولﷺ وهو على فراش الموت : (الصلاة الصلاة).

الشدة استثناء والأصل اللين واللطف في الأمر والنهي:

هذا على أن يبقى النصح على ما هو أدبه في الأصل؛ عند زوال ما يعارض ذلك الأصل، وهو اللين.

وقد أجاب الإمام أحمد -رحمهما الله- رجلا سأله عن الأمر بالمعروف هل يستقيم باليد؛ يكون ضربٌ باليد إذا أمر بالمعروف؟ قال :.« الرفق!»[٩٠] يعنى: الزم الرفق.

وفي أخبار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ما يدل على أنه كان واسع البال، قوي الاحتمال مع المخالفين، فتعامل معهم بالحوار وبالتي هي أحسن، لكنه -بين الفينة والأخرى- كان يضطر إلى أن يُظهر شدةً وحزماً في خطابهم أو التعامل معهم، وكأنه يريد أن يوصل إليهم رسالة مفادها: أنَّ لطفي معكم ليس عن عجز، وأن ليني ليس عن ضعف.. بل هو هَدْيٌ إيماني هُديتُ إليه، فإن لم يُجْدِ نفعا معكم فإن من قضايا الدين ما لا يحتمل المداهنة فيه؛ فلا عَليَّ بعد ذلك أن أبدو قاسيا حازما معكم..

ففي واحد من مجالس الحوار الكثيرة التي كان شيخ الإسلام يعقدها ليجيب على شبهات المعارضين- انقطع بهم الجواب، وكان قد سبق هذا المجلس مجلس آخر انقطع جوابهم فيه أيضا، وهم استعدوا لهذا المجلس الأخير، فلم يزدد مذهبهم باستعدادهم إلا تهافتا واضمحلالا بإقرارهم

على أنفسهم.. فلما أبان الشيخ باطلهم في المجلسين.. انتقل ليدعوهم إلى الجماعة والائتلاف. وينهاهم عن الفرقة والاختلاف.. ثم هدّد بأن مَن بَان له هذا الحق فتركه تكبرا وغطرسة أنه سوف يرفع أمره إلى سلطان الوقت على البَريد ويُعرِّفه من الأمور ما لا يقوله في هذا المجلس.

ثم عبر رحمه الله بكلمة تعد فصلا بين أساليب اللين وأساليب الحزم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي قوله: (فإن للسِّلم كلاما، وللحرب كلاما)[٩١].

وهذه العبارة توافق تعريف البلاغة المشتهر؛ تنظيرا وتطبيقا.

ويبقى المرجع في تطبيق المستوى العالي من الغلظة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ولي الأمر ، أي الحاكم القائم على تنفيذ الحدود الشرعية، أو من ينيبه عنه، وهذا ما تدل عليه الروايات السابقة بوضوح.

وكما تدل عليه الوقائع المروية عن العلماء، كابن باز مثلا.. فهو رحمه الله -كما قال أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري-: يلاين الناس ويداريهم لمصلحتهم،والحرص على هدايتهم... وإذا لم تنفع الملاينة استعمل نفوذه، فعندما ألّف أحد الأشخاص كتابا فيه تهجم على علم من الأعلام في الشريعة، بتهويش صحفي دون تحقيق علمي، راسله الشيخ ابن باز ولاطفه، ثم استدعاه، وحاوره باللين، ودعا له... فلما رأي الإصرار والعناد وعد الدفع بحجة أحرق ما وصل إلى المملكة من الكتاب،ومنع ما لم يصل.[٩٢]

الخاتمة

إن من أهم نتائج هذا البحث تأييد القول بأنه لا مناص من اللين في الخطاب، وأن دعوة تخرج عنه، أو لا تعده أصلا فيها، ولا قاعدة لها، أو تهمله وتتجاهله، محكوم عليها بالفشل الذريع.. وهذا ما تؤيده الأساليب القرآنية والنبوية في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا تطبيقات العلماء الدعاة المقتدين بهدي الدين.

ولقد سعى البحث إلى لفت الانتباه لجوانب هامة في سمة اللين واللطف في الخطاب، وكذا فيما هو ضدّ لهذه السمة، وهو الشدة والحسم، وشملت تلك الجوانب تحليلا لمجموعة مختارة من المواقف والأحداث، وقد ركز البحث على جانبي المعرفة بالمقام والأسلوب المناسب..

وبقيت جوانب أخرى تحتاج إلى إشباعها بالبحث والدراسة مما يتعلق بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كدراسة أنواع المقامات الأخرى التي يتوقع أن يواجهها المسلم، وكيف يتعامل معها بالحكمة واللين والموعظة الحسنة، وذلك من صميم علم البلاغة، لأنه يقوم على قاعدة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال).

مراجع البحث

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا ، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (المتوفى : ٢٨١هـ).
-الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سالم محمد عطا-محمد علي معوض
-الانتصار في ذكر أحوال ابن تيمية المقدسي، تأليف: محمد بن عبد الهادي المقدسي. تحقيق: محمد الجليند.
-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال ، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي (المتوفى : ٣١١هـ)
-الإيضاح، للخطيب القزويني
-البديع في نقد الشعر ، اسم المؤلف: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني (المتوفى : ٥٨٤هـ).
-البرهان في علوم القرآن ، اسم المؤلف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، دار النشر : دار المعرفة بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
-البيان والتبيين ، اسم المؤلف: الجاحظ ، دار النشر : دار صعب - بيروت ، تحقيق : فوزي عطوي
-التحرير والتنوير ، اسم المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م
-التذكرة الحمدونية ، اسم المؤلف: ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي ، دار النشر : دار صادر - بيروت/لبنان - ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إحسان عباس ، بكر عباس
-التعريفات ، اسم المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري
-التيسير بشرح الجامع الصغير ، اسم المؤلف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي ، دار النشر : مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة : الثالثة
-الفتاوى الحديثية ، اسم المؤلف: أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي ، دار النشر : دار الفكر
-الفقيه و المتفقه ، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤٢١هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي
-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، اسم المؤلف: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، دار النشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

-الورع ، اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. زينب إبراهيم القاروط
-الوفا بأحوال المصطفى ، اسم المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت / لبنان - ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
-أحكام القرآن ، اسم المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي
-إحكام صنعة الكلام،تأليف: محمد الكلاعي، تحقيق: محمد الداية. نشر: دار الثقافة، بيروت.
-إعراب القرآن ، اسم المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د.زهير غازي زاهد
-تنقيح تحقيق أحاديث التعليق ، اسم المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أيمن صالح شعبان
-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، اسم المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الرابعة
-ربيع الأبرار ، اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى : ٥٣٨هـ)
-سر الفصاحة ، اسم المؤلف: الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، الطبعة : الأولى
-شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، اسم المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ ، الطبعة : الأولى
-شرح نهج البلاغة ، اسم المؤلف: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري
-صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي.
-صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد بن صالح العثيمين، تأليف: حمود عبد الله المطر.
-فتح الباري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب
-كشف المشكل من حديث الصحيحين ، اسم المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، دار النشر : دار الوطن الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ، تحقيق : علي حسين البواب
-مجمع الأمثال ، اسم المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد
-مسند ابن الجعد ، اسم المؤلف: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي ، دار النشر : مؤسسة نادر -بيروت - ١٤١٠ - ١٩٩٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عامر أحمد حيدر

-مفتاح العلوم ، اسم المؤلف: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي (المتوفى : ٦٢٦هـ)فقه اللغة ، اسم المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى : ٤٢٩هـ)
-مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تأليف: محمد السعدي، ومساعد السعدي.
-مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز . تأليف: حمود المطر. دار الوطن.
-نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، اسم المؤلف: الشيخ عبد الحي الكتاني ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت
-نهاية الأرب في فنون الأدب ، اسم المؤلف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة

[1] البيان والتبيين: ٣٣/١
[2] الإيضاح ، للخطيب القزويني: ٣٠١
[3] البيان والتبيين: ٦١/١
[4] سر الفصاحة، لابن سنان ا لخفاجي: ١٦٣
[5] ينظر المثل السائر: ١٩٣/٢
[6] تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: ١٧٦/٢٠
[7] تفسير التحرير والتنوير: ١٧٦/٢٠
[8] ينظر تفسير التحرير والتنوير: ١٦١/٢٧
[9] البديع، لأسامة بن منقذ: ٢١/١
[10] مجمع الأمثال، للميداني: ٢١/٢
[11] التذكرة الحمدونية: ٨/ ٢٧٦
[12] التذكرة الحمدونية: ٢٧٦/٨
[13] المثل السائر، لابن الأثير: ١٩١/٢
[14] البيان والتبيين، للجاحظ: ٥٧/١
[15] البيان والتبيين، للجاحظ: ٥٧/١
[16] كتاب الورع عن الإمام أحمد بن حنبل، للمروزي : ١٠٨
[17] الورع، عن الإمام أحمد بن حنبل، للمروزي: ١٠٨
[18] إعراب القرآن للنحاس : ٧٣
[19] أحكام القرآن، للجصاص: ١٦٦/٤
[20] حلية الأولياء: ١٨٩/١، وصفة الصفوة: ١٩٦، وينظر قصة مماثلة لسهيل بن عمرو، وكان على وصفهم رجلا عاقلا، فبعد أن أنكر بالقول، قام، ونفض ثوبه ثم انطلق.. كناية عن شدة الإنكار عليهم بالمفارقة لمجلسهم ٢٦٦
[21] مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز: ١٩٦
[22] مواقف مضيئة: ١٩٩
[23] نهاية الأرب، للنويري: ٥٢/٧
[24] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٣٢/٥
[25] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن الخلال: ٤١
[26] تنظر القصة التالية التي وقعت للشقراني، ورواها ابن أبي الحديد...
[27] رواه الإمام البخاري.
[28] التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: ٢٦٧/٢
[29] كتاب الورع عن الإمام أحمد بن حنبل، للمروزي: ١١٦ والحديث رواه الإمام مسلم وغيره.
[30] الإيضاح، للقزويني: ٩٣
[31] مواقف مضيئة من حياة الإمام عبد العزيز بن باز: ١٢١
[32] صفحات مشرقة: ٣٩
[33] الإيضاح، للقزويني: ٣٥١/١
[34] مفتاح العلوم للسكاكي: ١٨٥/١
[35] الإيضاح، للقزويني: ٣٥١/١
[36] ينظر: تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: ٩٤/١٧
[37] ببعض تصرف من: تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: ٢١٠/٢٧
[38] ينظر : مواقف مضيئة في حياة الشيخ ابن باز:٩١و ١٢٥ وغيرهما
[39] مواقف اجتماعية من حياة الشيخ ابن سعدي: ٩٢
[40] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن أبي الدنيا: ٦٤

[٤١] مواقف مضيئة: ١٠٥
[٤٢] الإيضاح، للخطيب القزويني: ٣٩٢
[٤٣] ينظر: مسند الإمام أحمد الحديث رقم ١١٨٦٠
[٤٤] إحكام صنعة الكلام: ٢٥٢
[٤٥] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن الخلال: ٢٨٣
[٤٦] كتاب الورع عن الإمام أحمد بن حنبل: ٧١
[٤٧] صفحات مشرقة من حياة الأمام محمد بن عثيمين: ١٠٩
[٤٨] فقه اللغة،للثعالبي: ٨٣/١
[٤٩] الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي: ٤٣٨/١
[٥٠] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر بن الخلال: ٣٩/١
[٥١] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٠٢/٧
[٥٢] الإيضاح للخطيب القزويني: ٣٩٢/١
[٥٣] الإيضاح، للخطيب القزويني: ٤٤٤
[٥٤] تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، لابن عبد الهادي: ٥٣٤/٣
[٥٥] ينظر الفتاوى الحديثية ، لابن حجر الهيثمي: ٦٨/١
[٥٦] شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: ٥١/٣
[٥٧] لاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأنصار: ١١٢/٥
[٥٨] مواقف مضيئة: ٢٠٣
[٥٩] مواقف مضيئة: ١٢٥
[٦٠] مواقف مضيئة: ١٨٤
[٦١] مواقف مضيئة: ١٨٤
[٦٢] مواقف مضيئة: ٩١
[٦٣] مواقف مضيئة: ١٠٢
[٦٤] صفحات مشرقة:٥٢
[٦٥] فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: ١٧٧/١٣
[٦٦] مواقف مضيئة: ١٦٨
[٦٧] مواقف مضيئة: ١٨٤
[٦٨] ينظر: التعريفات للجرجاني: ٣٩/١ ،
[٦٩] الإيضاح، للخطيب القزويني: ٧٦/١
[٧٠] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٤٢/٤
[٧١] تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: ١٨/١٤
[٧٢] الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي: ٣١٧/٢
[٧٣] مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٤١
[٧٤] مواقف مضيئة في حياة الإمام ابن باز: ١١٢
[٧٥] صفحات مشرقة: ٥٦
[٧٦] ينظر : شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٣٦/٥
[٧٧] كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن ا لجوزي: ١٢٥/٤
[٧٨] المثل السائر: ١٩١/٢
[٧٩] الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي: ٤٣٨/١
[٨٠] ينظر فتح الباري، لابن حجر: ٣٩٠/٣
[٨١] مواقف مضيئة: ٣٨
[٨٢] حلية الأولياء، للإصبهاني: ٣٦/١٠

[٨٣] صفحات مشرقة: ١٤٥
[٨٤] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن أبي الدنيا: ٥٧
[٨٥] التراتيب الإدارية، نظام الحكومة النبوية، لعبد الحي الكتاني: ٣٠٨/١
[٨٦] ربيع الأبرار: ١٩٣/١
[٨٧] مواقف مضيئة: ٧٦
[٨٨] مواقف مضيئة: ٢٢٩
[٨٩] مسند ابن الجعد: ٣٠٢/١
[٩٠] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر بن الخلال: ٣٤
[٩١] كتاب الانتصار، في ذكر أحوال ابن تيمية، للمقدسي: ٢٧٠
[٩٢] مواقف مضيئة: ٢١٢